خاتمة وحقائق

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتنزل بذكره وتسبيحه الرحمات، وتنال من رضوانه البركات، وتمحى بمغفرته السيئات، وتستر بكرمه العورات، والشكر له وحده على توفيقه في تحقيق الغايات، أما بعد.

لقد فرغت بتوفيق الله تعالى من كتاب هذه الدراسة البسيطة والمقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي عن حكم قتل الأسير، وقد بذلنا فيها وسع الطاقة في البحث والتنقيب، والتمحيص والتدقيق، والجمع والتوفيق. وكلما وصلنا إلى نقطة مهمة في مسار البحث نجدها بتوفيق الله تعالى تقودنا لما ورائها من حقائق وبراهين وكنا نشعر في كثير من الأحيان أن القلم يدون ما يصل إلى الفهم من معاني بسرعة فائقة، ودقة بالغة، ومع هذا فاني اشعر أن هذه الدراسة قد سجل رءوس موضوعات، يحتاج بعضها إلى كتاب مستقل لتوضيح ما بها من خبايا وتفصيل ما اعتراها من ايجاز وتقصير.

وأود هنا أن أشير إلى بعض الحقائق الثابتة التي وضحت من بحثي هذا وهي كالتالي:

1- يقع الأسرى في أيدي أعدائهم كما تقع الغنائم في أيدي المحاربين ولكن لأن الأصل في الإنسان الحرية، فانه لا يجوز أسر كل ما تقع عليه أيدي المسلمين من الكافرين، وإنما حيث تكون الحرب ويكون المحاربون، وقد وضع الفقهاء أوصافا لمن يجوز أسره، وشروطا لوقوع الأسر حتى أصبح له نظام وحدود معروفة في الإسلام، قبل أن يعرفها فقه القانون الدولي الحديث بقرون، وحتى حين ظهرت تشريعات الأسرى في القانون الدولي كان للفقه الإسلامي نظريته الخاصة به والتي تلتقي بالفقه الدولي أحيانا وتختلف عنه أحيانا أخرى.

2- اذا كان وقوع الأسرى ناتجا عن قيام الحروب في الغالب، فإن هناك حروبا تقوم بين المسلمين وبين البغاة أو المرتدين والجميع في الأصل مسلمون أو كانوا مسلمين، ومن ثم فان الحرب هناك تختلف عن حرب المسلمين للكافرين من عدة نواح كما يختلف أسرى البغاة والمرتدين عن أسرى المشركين، فأسرى البغاة – في الواقع – ليس إلا تحفظا عليهم لمنعهم من مواصلة القتال، وأسرى المرتدين إذا وقع فهو لاستتابتهم ورجاء عودتهم إلى حظيرة الإيمان.

3- الأسير – قبل القسمة – أسير الدولة لا أسير الفرد الذي أسره، ومن ثم فإنه لا يجوز التصرف فيه بقتله أو إطلاق سراحه وإنما التصرف في ذلك إلى الإمام الذي تحكمه

الفضيله وهو مقيد بالإحسان إلى الأسرى طالما كانوا في الأسر والحكمة في تقييد التصرف في الأسير أمر تنظيمي تقتضيه طبيعة الحروب الإسلامية وهو يتعلق بحياة الناس وحرياتهم.

4- قد يحدث أن يسلم الاسير وهو في الأسر وقد اجمع العلماء على حرمة قتله حينئذ وقالوا باختيار الامام بين استقاقه او المن عليه او قبول الفداء منه، والمختار المن عليه ليعرف فضل اسلامه، وإذا جاز المن على غير المسلم فإنه في المسلم أولى، وإذا عصم الإسلام حياة الأسير فأولى به أن يعصم حريته.

5- حدد العلماء مصير الاسرى في أربعة أشياء المن، والفداء والاسترقاق والقتل، وقد قالوا بنسخ حكم بعضها لبعضها الآخر أو حصر بعضهم هذا المصير في واحد أو اثنين مع العلم بأن واز القتل والذي ورد في الفقه الإسلامي كان من باب المعاملة بالمثل ولا شيء غير ذلك.

وانطلاقا من بيان القصد والغرض من وراء هذه الدراسة الذي كان يسوقونا نحو معرفة حكم الأسير الذي يقع في قبضة العدو أثناء الحرب أو فور أن تنتهي وكذلك الحال بالنسبة لمعرفة حقوقه ومركزه القانوني في الشريعة الإسلامية وفي القانون الدولي وبالطبع عند تعرضنا لذلك وجدنا ان الشريعة الإسلامية أصل لكل علم حديث جاء من وضع البشر سواء كان ذلك قوانين او اتفاقيات دولية، فالشريعة الإسلامية كاملة متكاملة لا يعتريها النقص، ولا تشوبها العيوب، ولا يحتويها العجز أو التقصير، وذلك لأنها من وضع صاحب الكمال، فأنى يكون النقص والإخلال؟

إن الدين الإسلامي جاء بالرحمة للبشر عامة وللأسير خاصة، حيث جاء في قوله تعالى: ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا". فكانت لا تقع في يد مسلم كسرة خبز حتى تقع في يد أسيره، وهذا هو الأساس القويم الذي قام عليه الدين الإسلامي والتطبيق الرائع لقوله – عز وجل – ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة". وكذلك قوله – ص-: استوصوا بالأسارى خيراً". ولقد فعل أصحابه والتابعين من بعده ما فعله النبي – ص- .

وهذا هو القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي يطلق سراح عدد كثير من الاسرى الصليبيين وذلك لأن المسلمين ليس عندهم ما يكفي لسد حاجة الاسرى وكان الحرب لم تنتهي بعد

علما بان صلاح الدين الأأيوبي عندما أطلق سراحهم كان يعلم أنهم سيعودون لصفوف الصليبيين ليقاتلوا في المعركة من جديد ولما سئل عن ذلك قال: أفضل لنا أن نقتلهم وهو يحاربون في المعركة بدلا من أن نقتلهم جوعى وهم في أيدينا أسرى.

وبالتالي فلقد ثبت أن الإسلام قد سبق كل النظريات لدولية والنظم القانونية المعاصرة في المحافظة على أرواح الناس ورعاية حرياتهم المقررة لهم وق ولدتهم أمهاتهم أحرار.

ولا نجد في ختام هذه الدراسة شيئًا نقوله أفضل مما ذكره العماد الأصفهاني بقوله "لا يكتب الإنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو ترك هذا لكان أفضل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

تم بحمد الله

obeikan.com